(18-32)

الدولة الفلسطينية في السياسة الخارجية الامريكية

مؤتمر سلام.. من طراز جديد

تتسارع الاحداث في العالم بشكل يكاد يعصف بكل انواع البديهيات والثوابت والمسلمات. فالزلازل السياسية والبراكين الحربية، التي امسكت بتلابيب الكرة الارضية خلال عام ونيف، توازي في حدتها ونتائجها ما يعادل ثلاثة حروب عالمية من النوع الثقيل، واذا كان الحديث قبل ايام عن مؤتمر سلام في الشرق الاوسط تحت رئاسة ثنائية من الدولتين العظميين، فاننا نراقب لنجد ان ليس في العالم سوى دولة عظمى واحدة، اما الاتحاد السوفيتي فان حالة التفكك والفوضى التي عصفت به تضع العالم كله على حافة بركان هو اخطر ما واجه البشرية. ان السياسة الامريكية، التي تعاملت مع مركزية الاتحاد السوفيتي تحت شعار المحافظة على وحدته وعدم تفككه بما يفقد المركزية سيطرتها المحكمة على اكبر ترسانة نووية في العالم، كانت تتطلع الى تحقيق اتفاقيات مع غورباتشوف تصل الى حد نزع كل الصواعق والبوادي من هذه الترسانة. ولكن الامور افلت زمامها من يد غورباتشوف، وانتشرت الاسلحة النووية في عدد من الجمهوريات وتحت سيطرة افراد ومجموعات بحيث اصبحت في وضع يهدد العالم باسره. واذا كان رئيس الاركان السوفيتي (السابق) فضل الانتحار الذاتي بشنق نفسه، بعد ان سجل وثيقة احتجاجه على ما يجري بقوله"هانذا اموت الان لان كل ما كرست له حياتي ينهار بشدة"، فلو اختار سيرجي اخروييف ان يقول قبل انتحاره" على وعلى اعدائي الامريكان الذين دمروا ما كرست حياتي من اجله" كان يمكن ان تنطلق صواريخ بالستية عابرة للقارات محملة برؤوس نووية، ولا يعلم الا الله ايضا اذا لم يكن هنالك حينئذ من ضباط الجيش الاحمر الذين تلامس اصابعهم ازرار هذه الاسلحة النووية الفتاكة، من لم تصل به مرارة الاذلال الى حد الهرب نحو الانتحار الجماعي، ان الخوف من هذه التوقعات جعلت يفجيني فليكوف، يقترح ان تشرف هيئة دولية على الاسلحة النووية خلال فترة الاضطراب في البلاد. العالم الان على كف عفريت، والذين يتحدثون عن المؤتمر الاقليمي بنفس الصيغة التي كانت سائدة قبل احداث موسكو وكان شيئا لم يكن يدفنون الرؤوس في الرمال... ان العالم ونحن معه كان يتجه نحو مؤتمر دولي من طراز جديد. وقد اعطى بعض ملامح هذا المؤتمر الارهابي الصهيوني اريل شارون عندما صرح ان مصر تحاول الدخول الى سباق التسلح.. وان ذلك ضد "اسرائيل" وقال شارون في حزب الليكود امام وفد امريكي مسيحي يضم 150 شخصية قائلا"اننا نطالب الدول العربية تماما بالشيء نفسه الذي تطلبه امريكا من الاتحاد السوفيتي. وما هو مهم بالنسبة لامريكا هو اكثر اهمية بالنسبة "لاسرائيل" وطالب شارون الدول العربية بوقف سباق التسلح وادخال اصلاحات ديمقراطية الى انظمة الحكم العربية. ان ملامح المؤتمر الدولي الجديد تبدو واضحة اذا ادركنا طبيعة ما تطلبه امريكا من الاتحاد السوفييتي الان. وفي اعتقادنا ان نزع السلاح هو الكابوس والشغل الشاغل لامريكا في هذه المرحلة المضطربة. كما ان الا صلاحات الديمقراطية والحريات وسياسة الانفتاح وتدمير الشيوعية والا شتراكية وكل متطلبات عصر الكابوي والكوكاكولا هي في مقدمة مطالب امريكا من الاتحاد السوفيتي... اما مطالب شارون من العرب جميعهم.. فهي لا تميز بين من شاركوا في جريمة حفر الباطن، وبين من عارضوا، وبين العراق الذي قاتل ودفع ضريبة الكرامة العربية والوقفة الشجاعة باستمرار الحصار والتجويع ضد شعبه الصامد. ان القرارات الاممية الموجهة ضد العراق، بما يتعلق بالاسلحة، ستكون ايضا مطلوبة من الدول العربية الاخرى. فالصواريخ بعيده المدى ومتوسطة المدى

متوفرة في سوريا ومصر وليبيا والسعودية كلها يجب ان يشملها مفهوم الامن الصهيوني. والمؤتمر الدولي القادم سيكون له كالسابق رئيسان... الاول امريكا.. والثاني "اسرائيل"... والعبرة في الرئاسة بقدرة العقل وفرض الموقف وليس بالحجم او بعدد السكان. ان الاستحقاقات التي كانت تتطلبها مرحلة مؤتمر السلام والخطة الامريكية، التي قام بوش وبيكر بترويجها والتخطيط لها، كانت تهدف الى تصفية القضية الفلسطينية ومنظمة التحرير عبر الالتفاف على عملية التمثيل الفلسطيني، وتاجيل موضوع القدس وتحقيق الحكم الذاتي امتدادا لكامب ديفيد. وحيث ان التغيرات ممكنه فان امكانية عودة الظروف الملائمة هي ايضا احد احتمالات قوانين الحركة، وعليه فان تعاملنا مع الواقع وفي اطار وضع الحلول ومواقف لكل الاحتمالات الى حين تتضح الامور ويصبح القرار ضروريا، فقد تمت التهيئة لانعقاد المجلس الوطني الفلسطيني، باعتباره الهيئة الفلسطينية الوحيدة المخولة شرعيا باتخاذ القرار المفصلي والحاسم في ما يتعلق اولا واخيرا من تحقيقه لمصلحة الشعب الفلسطيني ومصلحة القضية الفلسطينية النضالية، وقد جسدت اللقاءات التي قامت بها القيادة الفلسطينية وعلى راسها الاخ القائد العام، سواء في المجال العربي او الفلسطيني، تكريس روحية التمسك بالثوابت الفلسطينية وعدم طرحها للنقاش بما يمس قدسيتها. ففي اللقاء الفلسطيني- الاردني وبحضور الاخ ابو عمار والملك حسين تم استعراض للمعلومات المتعلقة بالتحرك تضمن الانسجام بين الموقف الاردني والموقف الفلسطيني، بحيث تكون مذكرة التفاهم الاردنية- الامريكية ومذكرة التفاهم الفلسطينية- الامريكية تنطلقان من ارضية واحدة اهم بنودها:

1. تحقيق الانسحاب الاسرائيلي من الاراضي المحتلة عام 1967، على اساس قراري مجلس الامن 242،338 ومبدا الارض مقابل السلام.
2. وقف الاستيطان واعطاء الاردن اهمية خاصة لهذا الموضوع لانه اساس لمفهوم الارض مقابل السلام.
3. القدس مفتاح السلام وهي جوهر عملية السلام منذ البداية وعلى راس جدول الاعمال.
4. التمثيل الفلسطيني حق من حقوق الشعب الفلسطيني وممثله الشرعي والوحيد منظمة التحرير بالطريقة والشكل التي تحقق مصالح الشعب الفلسطيني.
5. حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني هو اساس وجوهر عملية التفاوض.
6. توازن التحرك في سياسة المسارين، بحيث لا يجوز التسريع بالحل العربي- الاسرائيلي على حساب القضية الفلسطينية. (1)

وقد توصل اللقاء الفلسطيني- الاردني الى ضرورة التنسيق الثنائي لمتابعة التحركات ودراسة الاحتمالات ووضع تصور القضايا المطروحة في المؤتمر، مثل قضية الحدود والمياه والبيئة والامن. كما اتفق على الدفع لتحقيق لقاء رباعي، يضمن التنسيق الكامل بين دول المواجهة فلسطين والاردن وسوريا ومصر، حول كل القضايا المتعلقة بمؤتمر السلام. والتمهيد لعقد اجتماع عربي شامل على هدى قرارات القمم العربية المتعلقة بالقضية الفلسطينية. ان الاستعداد الفلسطيني لمواجهة كل الظروف الصعبة هو احد السمات النضالية لشعبنا ولثورتنا، وان اهمية انعقاد المجلس الوطني هو تاكيد الاسس الشرعية التي يقوم عليها التحرك الفلسطيني والملتزم بالقرارات الشرعية الدولية، التي عبرت عنها قرارات الجمعية العمومية ومجلس الامن. وكذلك قرارات الشرعية العربية، التي عبرت عنها قرارات القمم العربية، واضافة الى الشرعية الفلسطينية التي تعبر عنها قرارات المجلس الوطني الفلسطيني. وان شكل التمثيل الفلسطيني، الذي هو حق فلسطيني محض، فانه ايضا حق من حقوق المجلس وليس من حقوق افراد عبروا عن اجتهادهم او مصالحهم حول الوفد المشترك، فالمجلس سيد نفسه وهو صاحب القول الفصل في شكل وطبيعة والية التحرك الذي يضمن اكبر مصلحة للشعب الفلسطيني في هذه المرحلة الصعبة. ان

استعدادنا لمواجهة استحقاقات مرحلة مؤتمر السلام، والذي تتبناه الخطة الامريكية، يجب ان لا يلهينا عن استحقاقات مرحلة استمرار نضالنا وكفاحنا داخل الارض المحتلة، لضمان احسن شروط تحقيق الانجازات، ولضمان استمرار حقنا في التمسك بمبادئنا وثوابتنا، بحيث لا نجر الى اشراك الامبريالية والصهيونية الخادعة. ان امتنا العربية جميعها امام محك تاريخي جديد وهي تواجه احتمالات عبورها الى مؤتمر دولي من طراز جديد، تجد نفسها فيه امام غطرسة صهيونية تفرض شروطها المذلة القاسية على العرب جميعهم، وتسلب مقدساتهم، وتقرأ عليهم صفحات من التلمود وميراث بني اسرائيل من الفرات الى النيل، ولكي يمعن الصهاينة في الاذلال وفرض الشروط، ستقوم امريكا.... الرئيس الاول للمؤتمر بممارسة سياسة الكاوبوي على بقايا الاتحاد السوفيتي او الوفد الروسي.كما ستقوم بممارسة الضعوط بكل جبروتها، على منظمة التحرير الفلسطينية وعلى الشعب الفلسطيني وقضيته العادلة، تتنافى، بكل معنى الكلمة، مع ابسط معاني الشرعية الدولية، وحقوق الانسان. لقد استطاعت ان تفرض هيمنتها على المنطقة تحت شعار الشرعية الدولية التي تشكل اساس النظام الدولي الجديد. ولكن امور هذه الشرعية"تتلخبط" عندما تقترب من الشعب الفلسطيني وقرارات الامم المتحدة التي تنصفه. فها هو بيكر على وشك انهاء جولته الثامنة الى المنطقة، وهو يريدها ان تكون الاخيرة ومفتاح العبور الى ما يسميه مؤتمر السلام للشرق الاوسط. ولكنه لم يتورع ان يحمل مسؤولية فشل هذا المؤتمر للفلسطينيين، كما جاء في جريدة نيويورك تايمزما يلي: (قابل بيكر اربعة قادة فلسطينيين لمحاولة حثهم على تشكيل وفدهم المشترك مع الاردن. وقد ابلغ بيكر الممثلين الفلسطينيين بان تاخرهم لتشكيل الوفد مع الاردن قد يعيق المؤتمر باسره والذي سيبدا في 31 تشرين اول/اكتوبر) (2). وكان بيكر قد صرح، اثر محاولته مع الوفد الفلسطيني الذي يراسه الاخ فيصل الحسيني ما نقلته صحيفة USA TODAY ، ما نصه (انني اعتقد ان الفلسطين هم الذين سيحققون اكبر كسب اذا استطعنا ان نبدا عملية السلام، وربما يكونون اكبر الخاسرين اذا لم تكن هناك عملية. لذا فانني امل ان احقق بعض التقدم) (3). وقد اكدت جريدة "يدعوت احرنوت على هذا الضغط الامريكي لمصلحة الكيان الصهيوني بقولها... (سيمارس الامريكيون حتى يوم الاربعاء موعد وصول بيكر لاسرائيل ضغوطا كبيرة على الفلسطينين من اجل بلورة قائمة باسماء اعضاء الوفد الفلسطيني الذين سينضمون الى الوفد الاردني للمباحثات وذلك وفقا لمعايير توافق عليها اسرائيل)(4). هذه هي المعادلة... وهي ببساطة ووضوح تنسجم كاملا مع المخطط الامريكي الصهيوني الذي تضمنه تقرير معهد واشنطن للشرق الاوسط المعنون"البناء من اجل السلام" ... والذي يقوم على اساس شطب منظمة التحرير الفلسطينية وابراز قيادات من الداخل يوافق عليها شامير وادارته من اجل تطبيق اتفاقيات "كامب ديفيد". لقد كان المجلس الوطني الفلسطيني، في دورته الاخيرة، واعيا للمخطط الصهيوني الامبريالي... ومراعيا لطبيعة موازين القوى الراهنة والتي تقلصت فيها بشكل سافر القدرة القومية العربية بعد ارتكاب جريمة حفر الباطن. ولذلك جاءت قراراته لتشكيل الخطة الاعتراضية لمحاولة التصفية.. وهي بتركها الباب موربا امام التغيرات السريعة وضعت اسسا واضحة ومحددة، بحيث تاتي مشاركتها فيما يسمى مؤتمر السلام او عدم المشاركة فيه منطلقة اساسا من مصلحة الشعب الفلسطيني، وفي هذا الزمن الرديء والمتردي، بحيث تقلل الخسائر الى الحد الادنى وتعمل على امكانية وقف المد الصهيوني الزاحف باكبر قدر ممكن. لقد تسارعت الاحداث بعد اصدار المجلس الوطني لقراراته... ورأي فيها الكثيرون موقفا ايجابيا ورأى البعض ان الموقف لا يزال متصلبا في حين اتهمه اخرون بالتفريط. وحيث ان حركة فتح تلعب دورا اساسيا في اتخاذ قرارات المجلس الوطني فان موقفها الواضح هو ان يتحرك القادم باتجاه المشاركة في المؤتمر او دعمه يجب ان ينطلق من الاسس التي تم اقرارها. فالاسس هي السلاح الذي يمنع الانحراف باتجاه التفريط والتنازل المجاني. وحيث ان هذه الاسس تؤكد على:

(حق منظمة التحرير الفلسطينية، باعتبارها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، في تشكيل الوفد الفلسطيني من داخل وخارج الوطن بما في ذلك القدس، وتحديد صيغة مشاركته في عملية

السلام على اساس متكافئ وبما يؤكد مرجعيتها في هذا المجال). فان اللجنة التنفيذية المكلفة من المجلس الوطني بالاستمرار في الجهود الجارية لتوفير افضل الشروط التي تكفل نجاح عملية السلام وفق قرارات المجلس الوطني وكذلك المجلس المركزي الذي سترفع له النتائج لاتخاذ القرار النهائي في ضوء المصلحة الوطنية العليا لشعبنا. يواجهان في حقيقة الا مر ضغوطا تنسجم مع العقبات التي يضعها الكيان الصهيوني. وتدور المحاولات الخبيثة للالتفاف على هذا الا ساس بالبحث عن بدائل تمهد لبروز وفد فلسطيني "مفبرك" بطريقة تؤكد الانصياع للمعايير الصهيونية في مواصفات تكوين الوفد، وبحيث يكون ذلك مقدمة للتعامل معه بصفته المعبر عن الشعب الفلسطيني، والبديل الشرعي الوحيد عن منظمة التحرير الفلسطينية التي ستفقد مرجعيتها في هذا المجال. لقد بدا التصعيد في الحرب الشعواء، التي تشنها امريكا والكيان الصهيوني ضد منظمة التحرير الفلسطينية، منذ تحددت الاهداف الاربعة التي اشرنا لها في حلقة سابقة وهي:

1. اعادة الاعتبار للحركة الصهيونية باعتبارها حركة تحرر وطني والغاء قرار الا مم المتحدة الذي يعتبر الصهيونية حركة عنصرية.
2. شطب منظمة التحرير وادانتها كحركة ارهابية وخلق الممثل البديل عنها من سكان "المناطق" حسب التعبير الصهيوني.
3. انهاء المقاطعة العربية للكيان الصهيوني والمشاركة في مسار مفاوضات متعدد الاطراف.
4. دفع الدول العربية لتعمل كل منها منفردة لتحقيق مصالحها عبر علاقة ثنائية مع الكيان الصهيوني انطلاقا من تحقيق امنها الاقليمي على حساب الامن القومي. (5)

لقد عبرت نشرة " فتح" في عددها رقم 13 بتاريخ 15-7-1991 عن هذه المؤامرة بما نصه:

وتتجلى السياسة الأمريكية في رشوة الصهاينة بتحقيق حلم أو نزع كابوس اسمه قرار الأمم المتحدة باعتبار الصهيونية شكلا من اشكال العنصرية، واستبدال هذا القرار باعتبارها حركة تحرر وطني. هكذا ... يتم تحقيق الحلم الصهيوني فتصبح منظمة التحرير "الحركة الارهابية العنصرية" وتصبح الحركة الصهيونية "حركة وطنية". ويركع الزعماء العرب على اعتاب العصر الصهيوني كل يفتش عن سلامة عرشه او نظامه عبر الضرب بعرض الحائط بالامن القومي، ويسعى كل نظام لتحقيق امنه الاقليمي.. هذه ابرز خطوط السياسة التي سيعمل بيكر على تحقيقها ليدفع شامير الى التراجع عن رفضه المستمر لمقترحات الادارة الامريكية، وليكون التطبيع الكامل للدول العربية مقدمه لوقف الاستيطان حتى يتم اعطاء الاردن ورقة يدخل فيها لعبة التسوية كما جاء في رسالة بوش لشامير. وكما عبر عن ذلك شوفال سفير الكيان الصهيوني في امريكا بقوله " ان المستوطنات لا تشكل عقبة امام السلام... واذا جلس العرب معنا على طاولة المفاوضات سيفاجئون بالمرونة التي تبديها "اسرائيل") (6). ولقد بدا بالفعل العمل لتحقيق هذه الاهداف وبشكل سافر، لقد كان من ابرز ما طرحه الرئيس بوش في خطابة في الامم المتحدة بتاريخ 22 ايلول/ سبتمر الماضي ما نصه "ان قرار الجمعية العامة للامم المتحدة رقم 3379 ما يسمى قرار الصهيونية صنو العنصرية" يسخر من هذا التعهد (ويقصد تعهد الميثاق بممارسة التسامح والعيش في حسن جوار) والمبادئ التي قامت على اساسها الامم المتحدة. وادعو الان الى الغائه. ان هذه الهيئة لا يمكنها ان تدعي بانها تسعى الى تحقيق السلام وتتحدى في نفس الوقت حق اسرائيل في الحياة. وستعزز الامم المتحدة مصداقيتها وتخدم قضية السلام بالغائها هذا القرار بدون قيد او شرط". وتاكيدا لهذا الموقف.. فقد تضمنت رسالة الضمانات الامريكية"لاسرائيل" ما نصه "ستواصل الولايات المتحدة جهودها للتوصل لانهاء المقاطعة العربية(وهذا هو احد اهداف المخطط) والغاء القرار الذي يعتبر الصهيونية حركة عنصرية". وكان من ابرز الممارسات السافرة ضد منظمة التحرير الفلسطينية ذلك

الموقف الذي اتخذه مندوب الولايات المتحدة في اللجنة التنفيذية للمفوضين السامين لاجئين بتاريخ 10 تشرين اول/اكتوبر 1991 حيث جاءت عبارة "كما شاركت فلسطين في اعمال الدورة" في صلب التقرير، فاعترض مندوب الولايات المتحدة، وايدته "اسرائيل" وكندا. ولكن رئاسة المؤتمر (الدورة) استندت الى قرار الجميعية العامة بخصوص مشاركة المنظمة في اجتماعات ومؤتمرات الامم المتحدة واجهزتها المختلفة كمخرج للمشلكة التي افتعلها المندوب الامريكي. ومن الواضح ان اعتراض مندوب الولايات المتحدة على ذكر مشاركة فلسطين في اعمال اللجنة التنفيذية للمفوضين السامين يشكل تصعيدا واضحا لهجوم امريكي- اسرائيلي قادم ضد تمثيل منظمة التحرير الفلسطينية للشعب الفلسطيني، تمهيدا للتحدث عن الممثل المفاوض في ما يسمى مؤتمر السلام كممثل فعلي للشعب الفلسطيني بدلا عن منظمة التحرير (7).

لقد استطاع التعنت الصهيوني والتعسف الأمريكي أن يفرضا شروط انعقاد مؤتمر مدريد تحت شعار السلام ارتكازا على قبضة الهيمنة الامريكية التي اصبحت بعد حرب الخليج مطلقة اليد. وعلى الرغم من تظاهر امريكا بالضغط على الكيان الصهيوني، في مسالة ضمانات قرض مواجهة متطلبات الهجرة اليهودية، الا ان الصهاينة استطاعوا ان يفرضوا معظم شروطهم وان يطمسوا معظم الاسس والثوابت الفلسطينية. فالمشاركة المباشرة لمنظمة التحرير الفلسطينية بصفتها الممثل الشرعي والوحيد، تحولت الى شكل من الاشراف غير المباشر. كما ان تشكيلة الوفد من الخارج والداخل بما فيها القدس وقضية القدس وضرورة وجودها موضوعا وتمثيلا منع تحقيقها. وقد جاء خطاب الرئيس بوش خاليا من التزاماته السابقة في 6 اذار/مارس 1991، والذي ركز على مبدا الارض مقابل السلام والحقوق السياسية للفلسطينين. مستبدلا ذلك بعبارة فضفاضة تتحدث عن "منح الشعب الفلسطيني سيطرة ذات معنى على حياته ومصيره ويوفر قبولا باسرائيل وتحقيق امن لها" (8). في الوقت الذي شدد فيه على ان هدف المؤتمر (ليس مجرد) انهاء حالة الحرب في الشرق الاوسط واحلال حالة عدم الحرب مكانها، فهذا لا يكفي. وهذا لن يستمر. بل اننا نسعى الى السلام، السلام الحقيقي. واعني بالسلام الحقيقي معاهدات. وامنا وعلاقات دبلوماسية وعلاقات اقتصادية، تجارة واستثمارات، تبادلا ثقافيا وحتى سياحية)(9)، وهذه كلها تطلعات صهيونية على حساب الامة العربية. لقد فرض على الثورة الفلسطينية، عبر مراحل نضالها الشاق المرير، الكثير من المواقف الصعبة والصمود في الممرات الموحشة والعبور الاجباري في ممرات المجازفة التي تتطلبها طبيعة موازين القوى. والذهاب الى مؤتمر مدريد، او ما يسمى مؤتمر السلام، كان ممرا اجباريا فرض على منظمة التحرير الفلسطينية وعلى الشعب الفلسطيني، تماما كما فرض على الثورة الفلسطينية الخروج عسكريا من بيروت عام 1982 ومن طرابلس عام 1983 بالسفن الى المنافي بهدف تصفية القضية الفسطينية وطمس الهوية النضالية للشعب الفلسطيني... ولكن ... هل استطاعت المؤامرة ان تحقق اهدافها؟ ... هل استطاع الذين فرضوا الممر الاجباري على الثورة ان يذبحوها على ركبة المنافي؟ حتما لا. لقد ثبت انه في الممرات الصعبة يتوهج الابداع الفلسطيني القادر على اجتراح المعجزات وفرض الحقائق الفلسطينية، حقائق الرقم الصعب. ليس هناك من فلسطيني يستطيع الادعاء انه ذهب الى مؤتمر مدريد حسب شروطه وبكامل ارادته الثورية او تطبيقا للاسس التي اقرها المجلس الوطني الفلسطيني في دورته العشرين، او الاسس بحدها الادنى التي اقرها المجلس المركزي في دورته الاخيرة وخاصة ما يتعلق بوقف الاستيطان. ان المجازفة الدبلوماسية، التي تخوضها منظمة التحرير الفلسطينية للعبور في الممر الاجباري في اطار الخطة الاعتراضية لمنع التصفية وقرارها القاضي بتقليل الخسائر، يتطلب موقفا واضحا وصريحا وصادقا عما يجري على ارض الواقع. لا يختلف اثنان على شرعية حق الاختلاف حول ما يسمى مؤتمر السلام، فاكثر المتحمسين له اصيبوا بخيبة امل من التعنت الصهيوني والتعسف الامريكي. ولكن اولئك الذين يصورون الذهاب الى مؤتمر مدريد بالمواصفات الراهنة انتصارا، انما يكذبون عل انفسهم ويخدعون شعبهم. ولو قالوا بانه ضرورة حتمية اعتقدوها نتيجة ما فرضته موازين القوى الراهنة بعد جريمة حفر الباطن ويهدف تقليل الخسائر لكانوا اقرب الى الصواب. والذين يصورون الذهاب الى مؤتمر مدريد، بالمواصفات الراهنة انتحارا هم اقرب الى الحقيقة اذا ماكانوا

هم انفسهم اداة هذا الانتحار، واداة تكريس الخسائر، والمزيد من الخسائر واخطرها خطر انهيار سقف الوحدة الوطنية الفلسطينية، وحدة الصف الفلسطيني في مواجهة مؤامرة التصفية.

كان العبور الفلسطيني في الممر الاجباري يؤدي الى بداية معركة فرضت على الثورة الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية، في وضع عربي متفسخ ومترد تحت ظروف لا تجتمع في ظلها الاراء التي تعبر عن الوحدة الفلسطينية ، ان العبور كان يستهدف تقليل الخسائر الى حدها الادنى. ولقد انتهت المعركة الاولى وكان من الضروري ان يتم تقويم تلك المعركة وحصيلة ما استطعنا ان نمنعه من خسائر عبر الاداء الفلسطيني اثناء هذه المعركة، حتى نكون جميعا على بينة من امرنا وامر حركتنا. كان الاصرار الامريكي الصهيوني على الضرب بعرض الحائط بالحد الادنى للشروط او الاسس التي اقرها المجلس الوطني الفلسطيني والمجلس المركزي، وخاصة وقف الا ستيطان، يستهدف، من وجهة النظر الصهيونية على الاقل، تحميل منظمة التحرير مسؤولية تعطيل المؤتمر وما ينتج عن ذلك من مواجهة بين المنظمة والدول العربية المجمعة على الانخراط في عملية التسوية الامريكية، هذا من جهة. ومن جهة اخرى، فان المخطط الصهيوني كان يدرك ان المجازفة الدبلوماسية، غير المنسجمة مع قرارات المجلسين الوطني والمركزي، ستقود حتما الى تفسخ وانقسام في الساحة الفلسطينية، خاصة في الارض المحتلة، مما سيعطي الكيان الصهيوني الفرصة لضرب الثورة والانتفاضة بحجر واحد. لقد ثبت بالممارسة العملية المحدودة في اطار المعركة التي خاضتها المنظمة ... والتي عمدت حركة فتح فيها الى تحمل المسؤولية الكاملة في التصدي لخطة التصفية الامبريالية الصهيونية، انها استطاعت ان تثبت انه في الممرات الصعبة يتوهج الابداع الفلسطيني القادر على اجتراح المعجزات وفرض الحقائق الفلسطينية حقائق الرقم الصعب. لقد بدا الاقتتال الفلسطيني فعلا وكاد المخطط الصهيوني ان يثير حربا شعواء بين فتح وحماس، وتم احراق بعض المحلات التجارية من قبل بعض عناصر حماس، وحاولت المخابرات الصهيونية تسعير الاوار، ولكن نداءات "فتح التي رفعت الشعار المناسب في المكان المناسب وفي الوقت المناسب. (وحدة الصف للدفاع... وحدة الهدف للهجوم...) ادت ان يتحول كل ابناء الحركة جنبا الى جنب مع كل ابناء شعبنا يرددون قوله تعالى:

(ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص)

صدق الله العظيم

ولقد عبرت كل القوى الوطنية الفلسطينية عن استجابتها للمفهوم الديمقراطي، الذي طرحته فتح حول حق الاختلاف، والتعبير عنه بالطرق الحضارية الديمقراطية... فكان الموقف الشعبي الموجه ضد الاحتلال الصهيوني، وضد وحش الاستيطان الزاحف، بغض النظر عن الموقف التكتيكي او الاستراتيجي من مؤتمر مدريد او ما يسمى مؤتمر السلام، او الاستسلام كل حسب ما يرى ويعتقد، ولكن العدو هو العدو، والمواجهة يجب ان تكون معه.

واذا كانت الخسارة، التي ارادها الصهاينة لشعبنا داخل الارض المحتلة، قد تم درء خطرها بالحكمة والموعظة الحسنة، فان الخسارة التي تم درء خطرها في ارض المعركة الدبلوماسية السياسية في مدريد كانت اكثر وضوحا. لقد مهد الاعلام الصهيوني والامريكي بشكل سافر لاهمية بروز قيادات محلية للشعب الفلسطيني بعيدا عن منظمة التحرير.. قيادات تنبثق من ارض الانتفاضة والمواجهة المباشرة مع جيش الاحتلال، ولقد استعار بعض الصحفيين الامريكان والصهاينة نفس النصوص التي تضمنها تقرير "البناء من اجل السلام" والذي جاء فيه تحت عنوان "تشجيع ظهور زعامة فلسطينية" ما نصه: (اذا لم تقم المنظمة بالتوجه الى اسرائيل بالحديث بطريقة جادة فان الفلسطينيين في الارض المحتلة سيتركون بمفردهم تحت ظل الاحتلال العسكري الاسرائيلي المستمر، وفي ظل تخلي الاردن عنهم والمصاعب الاقتصادية المتزايدة، وتحت هذه الظروف من غير المرجح ان يعودوا للعب دور المتفرج. وقد

يحث البعض على اللجوء الى المزيد من العنف ولكن هذا من شانه ان يزيد احوالهم سوءا. وقد ينادي البعض الاخر في النهاية بان يتولوا ادارة المسائل السياسية بانفسهم مثلما اداروا من قبل المسائل على مستوى الشارع. هذا بالضبط هو نوع التطور بعيد المدى الذي يجب ان تسعى الحكومة الامريكية الجديدة الى تشجيعه. لان مثل هذه الزعامة- بعكس المنظمة- قد حصلت على شرعيتها عن طريق مقاومة اسرائيل. ولكن لانها نبتت في الضفة الغربية وغزة فستتعرض ايضا لقدر من المخاطر في التعايش مع اسرائيل. واذا وصل الامر الى حد ان موقع النشاط السياسي سينتقل من عرفات وضباطه في تونس وبغداد الى مجموعة من اهل الارض المحتلة. فمن المحتمل ان تتعرض المنظمة الى تحول جوهري. واذا عجزت عن هذا التحول فمن المرجح ان تتبلور زعامة محلية في النهاية. وان تقوم بشكل متزايد بتولي المبادرة السياسية المطلوبة لتحسين ظروف مجتمعها) (10). ان الزعامة، التي كانت الصهيونية والادارة الامريكية تطمح الى خلقها داخل الارض المحتلة، يتلخص دورها في مواصفات التخلي عن الهوية الوطنية والحقوق المشروعة والاكتفاء بتحسين ظروف مجتمعها وبحكم ذاتي على السكان، بحيث تكرس شرعية الاستيطان وشرعية الاحتلال الصهيوني لكل ارض فلسطين، او قيادة تقبل مفهوم الاندماج في وفد اردني- فلسطيني مشترك، ليطمس اي امل او شكل من اشكال الاستقلال الوطني حتى ولو في اطار كونفدرالية متحدة مع الاردن. وفي معرض تقليل الخسائر ومنع الانهيار الشامل للاسس والمبادئ التي هي اساس ترابط بنيتنا التنظيمية كان الاداء، على ارض معركة مؤتمر مدريد، قادرا على ان يمنع الصهاينة من تسجيل اي انتصار يهدف لطمس الاستقلالية بشكل سافر ويلغي الاسس المبدئية التي تبنتها منظمة التحرير الفلسطينية وصاغتها في الخطاب الذي تلاه رئيس الوفد المعين رسميا, هو وجميع افراد الوفد, من قبل الاخ ابو عماروااللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية. ولكن ضمن اطار الشروط التي فرضها التعنت الصهيوني بحيث لا يكون هذا التعيين من القدس او من خارج الارض المحتلة. ولهذا فلا يجوز الحديث عن انتصارات وانما عن ابداع الخروج من الازمات وتقليل الخسائر انطلاقا نحو خلق وقائع جديدة، نستطيع من خلالها ومن خلال وجودنا ان نفرض بعض ما يمكن ان نسميه انجازات، وذلك عندما نستطيع ان نفرض على الصهيانية وقف الاستيطان .. تمهيدا لتطبيق قراري مجلس الامن 242، 338 ومبدا الارض مقابل السلام ، بحيث يشمل ذلك القدس. ويمكننا ان نتحدث عن الانتصار عندما يتشكل وفدنا المستقل، بحيث يمثل شعبنا الفلسطيني في كل امكان تواجده، وعندما يتحقق الانسحاب الكامل من الاراضي المحتلة الفلسطينية والعربية ، وعندما نفرض حقنا في تقرير المصير ونحقق استقلالنا الوطني ونقيم دولتنا المستقلة وعاصمتها القدس الشريف.ان الوصول الى هذه المرحلة، مرحلة الانتصار، هي خيارنا الوحيد. وللخروج من الممر الاجباري نحو هذا الخيار كان لا بد من الاستمرار في خوض المعارك المتتالية، معارك تقليل الخسائر، معارك الانجازات، معارك التراكم الايجابي، معارك الانتصارات الصغيرة التي تتراكم لنحقق في المعركة الفاصلة النصر الكبير والاكيد... ان ساحات النضال، التي نخوض فيها معاركنا المتتالية والمتداخلة، تتطلب منا ان نراكم الجهد في سبيل تدعيم مواقفنا على ساحة النضال الرئيسية في الارض المحتلة... وهذا يتطلب منا كما حددته حركة فتح العمل في المجالات الختلفة على الشكل التالي:

1. فتحويا:

التركيز الشديد على ضرورة تصعيد نضالنا ضد الاستيطان والمستوطين، وضد الاحتلال وجيشه، وعدم الانخداع كثيرا بما نسمعه من اوهام السلام، بحيث تدفعنا لاحضان جيش الاحتلال مع اغصان الزيتون وهو لا يزال يحمل البنادق التي تقتل اطفالنا ونساءنا وشيخونا. ولنتذكر ان ما قاله الاخ ابو عمار في الامم المتحدة هو "لقد جئتكم ببندقية الثائر وغصن الزيتون فلا تسقطوا الغصن الاخضر من يدي." لقد ظلت البندقية في اليد الفلسطينية، ويجب ان تبقى، ويجب ان يبقى الحجر، ويجب ان نستمر في النضال، ولا يجوز ان يكون غصن الزيتون في ايدينا والبنادق فقط في ايدي اعدائنا كما ان علينا ان

نتذكر تجربة الصهاينة والاستعماريين البريطانيين يوم قاموا بضرب ثورتنا الكبرى عام 1939 بتشجيع ظهور ما يسمى فصائل السلام. ان دعم المفاوض الفسطيني يتحقق بالتصدي للاحتلال وليس بمهادنته، هكذا فعل الفيتناميون ضد الاحتلال الامريكي، وهكذا فرضوا ارادتهم وانتصروا...

2. فلسطينيا:

سواء خارج الارض المحتلة او داخلها، فان الوحدة الوطنية يجب ان تنطلق من الوحدة ضد العدو، ضد الاستيطان، ضد الاحتلال. ويجب ان يكون التنسيق الكامل مع كل القوى، بحيث نقوم باداء ما نتفق عليه ونعذر بعضنا فيما لا نتفق عليه. وبهذا يظل شعارنا، وحدة الصف للدفاع.. وحدة الهدف للهجوم هو اساس الوحدة الوطنية، اساس اللقاء على ارض المعركة.

3. عربيا:

وهنا تلعب حركتنا دورا هاما في العمل على خلق حالة عربية، بعيدة عن اثار ومخلفات حفر الباطن وما جرته على الامة العربية من نكبات. فالروح التضامنية، في وجه الغزوة الصهيونية الكبرى، يجب ان تنطلق من ضرورة المواجهة العربية الكبرى وخاصة في جبهة دول الطوق. ولقد جاءت زيارة وفد حركتنا الى سوريا تدعيما للموقف الذي يقوي الموقف العربي في مواجهة التعنت الصهيوني، ويمنع استفراد العدو بالاطراف العربية كل على حدة. ولقد اكد وفدنا على ان المصلحة الوطنية الفلسطينية والقومية العربية تقتضي التنسيق الكامل مع الاخوة في سوريا ومع الاردن ومصر ولبنان في مواجهة التحدي الصهيوني، وخاصة في محاولة الدفع باتجاه تطبيع العلاقات العربية مع الكيان الصهيوني قبل ضمان او تحقيق انسحاب العدو الصهيوني عن الاراضي الفلسطينية العربية المحتلة بما فيها القدس العربية. وان الموقف العربي الموحد من الاجتماع المتعدد الاطراف يكتسب اهمية في حماية وضمان الحقوق الفلسطينية. فان الدول العربية معنية بالضغط على الولايات المتحدة لتمارس دورها في التمسك بالحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني التي نصت عليها قرارات الامم المتحدة، وبالمشروع الذي طرحه الرئيس بوش، وبالموقف من الاستيطان الذي اعلنه الوزير بيكر، وبضرورة اعادة الحوار الامريكي مع المنظمة لكي تلعب دورها الطبيعي في تمثيل شعبنا الفلسطيني داخل الارض المحتلة وخارجها حتى تكون اسس تحقيق السلام الشامل ممكنة، وحتى يمكن تجاوز مرحلة السلام المراوغ وسلام الاوهام.

4. دوليا:

لقد أقر العالم بأسرة أن منظمة التحرير قد لعبت دورا إيجابيا في إنجاز عقد مؤتمر مدريد باعتباره خطوة من أجل السلام... ولكن العالم او الكثيرين فيه لم يدركوا حجم التضحيات التي قدمتها المنظمة وحجم الضغوط التي مورست عليها والتي وصلت الى حد تهديدها من قبل اساطين الاستعمار عليها والتي وصلت الى حد تهديدها من قبل الاستعمار والامبريالية بتحملها مسؤولية ما سيلحق بالشعب الفلسطيني داخل الارض المحتلة من معاناة لا يستطيع احد ان يتصورها... وحيث ان نتائج الجولة الاولى في مدريد قد اثبتت ان المنظمة، التي وصفوه باللاعب الخفي، قد اصبح دورها واضحا اخفاء شمس المنظمة بغربال شامير التلمودي المهتريء، والخضوع لابتزاز اللاسامية البغيضة. محاولة ترهيب الاخت حنان عشراوي الا جزء من هذا المخطط والذي يحاول تكريس الفصل بين قيادات الداخل وبين المنظمة وهو ما لا يجوز الانجرار له بحيث نؤكد حق الصهانية بالفصل بين المنظمة وشعبها في الارض المحتلة. ان ابناء حركتنا مطالبون، في كل اماكن تواجدهم وخاصة في الدول الاسلامية ودول "العالم الثالث" ومع كل الشعوب الصديقة، تنشيط لجان الدعم والمساندة للانتفاضة ولشعبنا في الارض المحتلة ولمنظمة التحرير في مواجهة مخطط التصفية الامبريالي الصهيوني، ويجب ان ندرك جيدا اننا قادرون على الخروج من هذا الممر الاجباري الموحش الذي يعصرنا في هذا الزمن الرديء. واننا، باصرارنا

وعزيمتنا التي تتوقد فينا ونحن نؤكد العهد والوفاء للشهداء، سنجترح المعجزات فتحويا وفلسطينيا وعربيا واسلاميا ودوليا، لنؤكد حتمية خيارنا الوحيد... خيارنا الاكيد... الانتصار...بعونه تعالى (11).

من الوضوح البناء الى الغموض المدمر

اعتمدت السياسة الامريكية، في تعاملها مع قضية السلام في الشرق الاوسط، مبدا الغموض البناء. وهذا التعبير الجديد استخدمه الوزير بيكر ليبرر فيه دبلوماسيته السرية التي تجعله البصير الوحيد في غابة العميان، ويعتقد بيكر انه بذلك سيكون قادرا على دفع كل مشارك في لعبة السلام نحو المصير المرسوم له بدقة من الادارة الامريكية. لقد ادت هذه السياسة دورا فعالا في مرحلة الجولات المكوكية التي كان الحوار المكثف يدور بين بيكر والاطراف المعنية بهدف تحقيق اجتماعهم في مؤتمر السلام. وقد سقطت العصبات عن العيون بعد مؤتمر مدريد، وبدات الاطراف ترى بعضها البعض بوضوح وتدرك الفروق بين الدوافع التي جعلتها تلتقي وجها لوجه. كانت رسائل الضمانا المختلفة النصوص التي قدمتها امريكا الى الاطراف المعنية تعبيرا عن سياسة الغموض البناء، ففيها يجد الفريق المعني ذلك الدافع الذي يجعله يطمئن الى المشاركة اعتمادا على الضمانة الامريكية"المنصفة؟!" وجاءت رسالة الدعوة المقدمة من راعيي المؤتمر، الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي (سابقا) الى الاطراف المعنية بتاريخ 18 تشرين اول/اكتوبر 1991 دون ان تتخلص من رواسب سياسة الغموض البناء. ففي الوقت الذي تبدا فيه الرسالة بالتاكيد على اهمية استقلالية الطرف الفلسطيني فانها تنتهي الى توجيه الدعوة للفلسطينيين كجزء من الوفد الاردني- الفلسطيني المشترك. لقد نصت رسالة الدعوة على ما يلي:

"بعد استشارات مكثفة مع الفلسطينيين والدول العربية واسرائيل، فان الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي يعتقدان ان فرصة تاريخية تتحقق لدفع عملية سلام حقيقي في المنطقة باسرها. ان الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي عل استعداد لمساعدة الاطراف للتوصل الى تحقيق سلام عادل ودائم وشامل من خلال مفاوضات مباشرة عبر مسارين بين اسرائيل والدول العربية، وبين اسرائيل والفلسطينيين، واستنادا الى قراري مجلس الامن 242،338 ان هدف هذه العملية هو السلام الحقيقي" (12). من الواضح ان هذه الفقرة من رسالة الدعوة تتعامل مع الفلسطينيين كطرف مستقل، تماما كاي دولة عربية اخرى وتماما كدولة الكيان الصهيوني، كما انها تركز بوضوح على وجود مسار فلسطيني- اسرائيلي، وهذا يعني اقرار المسار الفلسطيني المستقل وهو اقرار امريكي سوفياتي لمبدا المفاوضات الثنائية بين الفلسطينيين والاسرائيليين، وهو ما ينفي قيام الاردن بالتحدث عن الفلسطينيين او تمثيل مصالحهم. وهنا يجب ان يكون واضحا ان الفلسطينيين الذي تعنيهم رسالة الدعوة هم الفلسطينيون داخل الارض المحتلة عام 1967، اما الفلسطينيون خارج الارض المحتلة، فان قضيتهم يشار اليها في الدعوة في اطار المفاوضات المتعددة الاطراف كقضية لاجئين. لقد تبع هذه الفقرة الواضحة من رسالة الدعوة فقرة تنص على مايلي:"سيراس الراعيان المؤتمر الذي سيعقد على المستوى الوزاري. وان الحكومات المدعوة تشمل اسرائيل وسوريا ولبنان والاردن وسيدعى الفلسطينيون وسيشاركون كجزء من وفد اردني- فلسطيني مشترك" (13). وهنا يبدو واضحا بالنص ان الحكومة الاردنية مدعوة على قدم المساواة مع حكومات سوريا ولبنان "واسرائيل"، اما الفلسطينيون فانهم جزء من الوفد المشترك. هذا الوضوح الذي باجتماعه مع وضوح الفقرة السابقة يشكل ما يعتمده الامريكان سياسة مبدا الغموض البناء. ولقد نتج عن هذا الغموض تحقيق لقاء واضح في مدريد اعطى الطرف الفلسطيني فيه فرصة كبرى للتعبير عن استقلاليته وممارسته لكل ما حوته الفقرة الاولى من وضوح بناء. ولكن اجواء الغموض المدمر التي سادت في جولة واشنطن جعلت دبلوماسية الاروقة سدا امام مفاوضات الغرف مغلقة، وكان الاتحاد السوفييتي يعاني من نوبته البيروسترويكيا التي

اطاحت بنظامه، وكانت الولايات المتحدة غارقة في قضاياها الداخلية وخاصة منها الاقتصادية المتدهورة التي يحاول صهاينة امريكا ان يجعلوا منها ازمة ضاغطة على ادارة الرئيس بوش لتفرض عليه تنفيذ ما يخدم مصلحة الكيان الصهيوني. لقد وضع بيكر لسياسة الترقب لما يجري بين الاطراف دون التدخل نصا احتوته رسالة الدعوة يقول: "ليس للمؤتمر سلطة فرض حلول على الاطراف او نقض (فيتو) الاتفاقات التي يتصلون لها. وليست له اي صلاحية لاتخاذ قرارات للاطراف وليست له القدرة على نقض المواضيع والنتائج. ويمكن للمؤتمر ان يجتمع فقط في موافقة جميع الاطراف" (14).

لقد استطاع الغموض البناء ان يدخل جميع الاطراف الى حلبة المؤتمر والمفاوضات، ولكن استمرار هذا النوع من الصراع يتطلب درجة عالية من الوضوح البناء... بعيدا عن الغموض المدمر... لقد دخلت منظمة التحرير الفلسطينية هذه المواجهة مع العدو الصهيوني في ظروف تفرضها موازين القوى الامريكية الصهيونية. وهي لتكون صادقة ووفية لمبادئها ولشهدائها ولشعبها الذي هي الممثل الشرعي الوحيد له، فان عليها ان تحدد مدى المجازفة الدبلوماسية التي نخوضها والتي كان اول اهدافها في هذا الزمن الرديء تقليل الخسائر ورفع السكين عن عنق شعبنا تحت الاحتلال في الارض المحتلة، وخلق الظروف الموضوعية لفرض وجود المنظمة كطرف اساسي مباشر في عملية السلام الحقيقية. لقد رافقت جولة ما يسمى بالسلام في واشنطن حملة استيطان كاسحة تطورت الى درجة ترافق فيها تكريس الاستيطان مع طرد المواطنين من بيوتهم. وقد تم ذلك على بعد امتار من المسجد الاقصى وفي الارض التي باركها الله، في سلوان القدس, المبعدة قضية وتمثيلا عن عملية السلام... وهي التي تشكل المفتاح الحقيقي للسلام. لقد جاء الدخول الى عملية التسوية بهدف رفع سكين الاستيطان عن الجرح الفلسطيني النازف، تمهيدا لازالته على الارض بدحر الاحتلال الصهيوني.. وكان هذا هو صلب قرارات المجلس الوطني الفلسطيني والمجلس المركزي الفلسطيني والذي يربط بين مباشرة عملية التفاوض واستمرار المؤتمر مع وقف عملية الاستيطان مبدئيا على طريق تصفية المستوطنات... وتحقيق باقي الاهداف. لقد عبر الكثيرون من المندفعين باتجاه عملية السلام عن صعوبة تحقيق مطلب وقف الاستيطان او تجميده... واشار البعض انها ستكون، من حيث تجميدها فقط، قضية مستعصية على الحل لانها الامتحان العسير الذي يخوضه الجميع... ان ما يجري في ظل شعارات ما يسمى بالسلام هو المزيد من المذابح المنظمة والنشاطات الانتقامية للمستوطنين وللحرس المدني المدعمة بالقرار الصهيوني المركزي لحكومة الليكود.

وقد عبر رئيس وفد الكيان الصهيوني المفاوض مع الوفد الاردني- الفلسطيني المشترك لرئيس الوفد الفسطيني الذي طالبه بضرورة وقف الاستيطان كخطوة ضرورية لبناء الثقة بقوله للدكتور حيدر عبد الشافي" يادكتور هل تعتقد ان احدا يستطيع ان يمنع اليهودي من العيش على ارض اسرائيل"... اليس هذا هو التعبير الدبلوماسي لما تردده غيئولا كوهين "ان جميع اسرائيل مستوطنة كبرى واحدة"؟ رغم كل هذا فنحن ندرك طبيعة وظروف موازين القوى الراهنة، ونحن كحركة لا نؤمن بالجمود ولا نؤمن بسيطرة السكون (الاستاتيكا) وان التغيرات السلبية ليست هي القانون السائد فالتغيرات الايجابية لمن يعملون ايجابيا هي جزء من نتائج العالم المتحرك. ان عملية السلام الراهنة، التي تشارك فيها المنظمة بهدف درء الاخطار وتقليل الخسائر ورفع سكين الاستيطان عن الجرح الفلسطيني، تظل في اطارها الصحيح ما دامت قادرة على الحفاظ على الذات المقترن بترتيب الوضع الذاتي الفتحوي اولا ثم الفلسطيني، بحيث يكون قادرا على المواجهة في بدائل تكون فيه استراتيجية العمل اكثر فاعلية نحو تحقيق الانتصارات. ان خطة السلام الامريكية الصهيونية، التي فرضت في ظل النظام الدولي الجديد هي جزء لا يتجزا من استراتيجية امريكا والكيان الصهيوني، وهذه الاستراتيجية لا يمكن ان تكون متطابقة مع استراتيجية السلام الفلسطيني... السلام الحقيقي القائم على العدل، وتحقيق الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني وفي مقدمتها حقه في العودة وتقرير المصير واقامة دولته الفلسطينية المستقلة وعاصمتها القدس الشريف. ان التعامل مع الذات، بالمصداقية الكاملة، هو اساس وضع خطة التعامل مع الراي العام ومع الاصدقاء

ومع الاعداء. ونحن ندرك درجة المراوغة والكذب التي يمارسها اعداؤنا، سواء في مجال الراي العام او في مجال تعاملهم المخادع معنا، ولهذا فان المصداقية المنطلقة من الذات هي القادرة على وضع خطط للتعامل مع الاخرين، وان الوضوح البناء هو اساس العمل النضالي وان المقياس الذي من خلاله يمكن حشد الجماهير العربية والاسلامية والراي العام العالمي مع قضيتنا العادلة هو تمسكنا الدائم بقرارات الشرعية الدولية والشرعية العربية والشرعية الفلسطينية باعتبارها الاساس الاستراتيجي للمصداقية. ومن يخرق منا هذه القرارات ويلتف حولها او يتساهل فيها انما يساهم في خداع الذات الذي يصب في مصلحة الاعداء. لقد صمدت حركتنا "فتح" ومنظمتنا، منظمة التحرير الفلسطينية، في مواجهات قاسية اعتمادا على موقف الصدق مع الذات ونبذ الخداع الذاتي.وفي الوقت الذي تعتقد امريكا ان عجلة ما يسمى بالسلام التي تحاول فرضها تلاقي قبولا شاملا لدى الدول العربية ومعظم شعوبها، فان واقع الامر تدركه امريكا اكثر من غيرها، بمن فيهم المروجون لاكذوبة التاييد الشعبي العارم للسياسة الامريكية حول السلام. لقد اخضعت دول كثيرة الى ضغوط جعلها تخرج من ابسط مبادئها وتصوت الى جانب الولايات المتحدة لتبرئة الحركة الصهيونية المجرمة من صفتها العنصرية. اذا كان هذا المقياس الدولي يعبر عن ارادة الشعوب في هذه المرحلة فان واقع الدول العربية المشاركة او المغلوبة على امرها في العبور الاجباري في مؤتمر السلام هو واقع شبيه بشعوب الدول الاسلامية التي صوتت في المؤتمر الاسلامي في داكار ضد الغاء قرار مساواة الصهيونية بالعنصرية ثم صوتت بشكل مغاير في الامم المتحدة. ان خطة الكفاح الاعتراضية، التي تقودها حركتنا للوصول بالمصالح الوطنية الفلسطينية الى شاطئ الامان تمهيدا لتحقيق الاهداف الاسترتيجية، تطلبت المزيد من الاستعداد لاسوأ الظروف والاحتمالات من اجل الحفاظ على الشخصية الوطنية الفلسطينية المستقلة التي تجري المؤامرة لتصفيتها عبر الفصل بين ابناء شعبنا في الداخل والخارج، وعبر مشاريع الحكم الذاتي للسكان في ظل كيان صهيوني يحلم "باسرائيل الكبرى". ان دخول عملية السلام تحت سياسية الغموض الامريكي البناء كانت تهدف الى تحقيق سلامة القرار الفلسطيني المستقل ووضعه في اطاره الصحيح، ولكن هذه السياسة اذا كانت ستقودنا نحو فقدان هذا القرار وفقدان الشخصية الفلسطينية، وفوق كل ذلك فقدان الوجود على الارض، واندثار ابناء شعبنا تحت جرافات الا ستيطان، فالواجب الوطني اقتضي فضح سياسة الغموض المدمر الامريكية وعدم اعطائها ايه شرعية لا تمتلكها غير منظمة التحرير الفلسطينية. ان اللحظة الحاسمة التي ادركنا فيها ان الاستمرار في عبور النفق سيقودنا الى طريق مسدود، فان تقليل الخسائر والمحافظة على الذات اقتضت خيار الخروج من نفق الغموض المدمر وقلب الطاولة في وجوه كل من يستهينون بالرقم الفلسطيني الرقم الصعب الذي كان وسيظل كذلك حتى النصر والتحرير.

هوامش

1. نشرة فتح العدد السادس عشر اواخر آب 1991
2. نيويورك تايمز 12 اكتوبر 1991
3. صحيفة يو اس تودي 13 اكتوبر 1991
4. صحيفة يدعوت احرنوت 14 اكتوبر 1991
5. نشرة فتح العدد التاسع عشر منتصف اكتوبر 1991
6. المصدر السابق العدد 13 منتصف تموز 1991
7. المصدر الاسابق العدد التاسع عشر
8. كوانت مسيرة السلام ص.481
9. المصدر السابق
10. البناء من اجل اللام مصدر سابق ص. 57-58
11. نشرة فتح مصدر سابق العدد21 عام 1991
12. كوانت مصدر سابق ص.478
13. المصدر السابق
14. المصدر السابق ص.479